الإمارات الكردية في مسالك الابصار لابن فضل الله العمري (ت: ٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م)

أ.م. محمد علي صالح الشرابي
قسم التاريخ - كلية الأداب – جامعة الموصل/العراق

الملخص:

يعتبر ابن فضل الله العمري من أهم مؤرخي العصر المملوكي. كتب موسوعة علمية تاريخية تناولت جوانب عديدة من تاريخ الشرق الإسلامي. كرس موضوعًا كاملاً لبلد الأكراد ، فحدّد مناطق انتشارهم ، وإقامتهم ، وأهم قبائلهم ، وأبرز الإمارات الكردية في عصره التي عاش معها أو سمع عنها أو نظر إليها. بين قوتهم ومواردهم. وعلاقتها بالقوى الإقليمية المعاصرة مثل المماليك والمغول.

كلمات مفتاحية: *كتاب مسالك الأبصار ، الإمارات والقبائل ، الأكراد، العصر المملوكي*

المقـــــدمة:

يُعد ابن فضل الله العمري واحد من اهم مؤرخي العصر المملوكي في القرن (٨هـ/ ١٤م)، كتب موسوعة علمية تعد احدى اهم الموسوعات التاريخية، تناولت جوانب عديدة من تاريخ بلاد الشرق، وخصص مبحثا كاملا لبلاد الكرد، فحدد مناطق انتشار وسكن الكرد واهم القبائل والامارات الكردية التي عاصرها، وسمع بها او زارها واطلع على احوالها، ويعد من ابرز المصادر التي وصلت الينا وبينت طبيعة الامارات الكردية، وعلاقتها مع القوى الإقليمية التي سيطرت على المشهد السياسي بعد الاجتياح المغولي المدمر، الذي احدث ابلغ الأثر في بلاد المشرق، ولم تكن بلاد الكرد بمنجى من هذا الطوفان المغولي المدمر، الذي أصاب اهم المراكز الحضرية في بلاد الكرد، مثل اربل التي كانت قد بلغت اوج ازدهارها في عصر مظفر الدين كوكبري، فغدت قبلة العلماء واسست المدارس ودور الحديث واستقطاب ابرز العلماء .

وبعد الاجتياح المغولي بسنوات اخذت الحياة تعود الى تلك البلاد، وبرزت امارات واسر اضحى لها دورا واضحا في الحياة السياسية، وعلاقات مع دولة المماليك والدول الأخرى، قدم العمري معلومات قيمة عن تلك الامارات والقبائل والبلاد التي سيطرت عليها، مثل شهرزور حيث اكراد الخريسة كما يسميهم العمري، ويذكر ان الاجتياح اضطر العديد من اكراد البابرية الى النزوح نحو بلاد الشام ومصر، ويذكر العديد من قبائل الاكراد الأخرى مثل الجولمركية واميرهم

شمس الدين في العقر والعمادية والزيبارية والهكارية، الذين كانت لهم الخفارة الى جبل الجزيرة والبختية والحميدية والكلالية والزرارية وغيرهم.

وقد تم تقسيم البحث على مبحثين، تناول المبحث الأول: المؤرخ بن فضل الله العمري، وكتابه مسالك الابصار، اما المبحث الثاني: فقد تناول ابرز الامارات والقبائل الكردية التي ذكرها ابن فضل الله العمري.

المبحث الاول:

ينسب ابن فضل الله العمري الى بيت علم وفضل، يرجع نسبهم الى الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقد ساق نسبه الحافظ ابن حجر العسقلاني قائلا: "أَحْمد بن يحيى بن فضل الله بن مجلي بن دعجان بن خلف بن نصر ابْن مَنْصُور بن عبيد الله بن يحيى بن مُحَمَّد بن أبي بكر بن عبيد الله بن أبي بكر ابْن عبيد الله بن أبي سَلمَة بن عبيد الله بن عبد الله بن عمر الْعَدوي الْعمريّ" (ابن حجر، ١٩٧٢، ٣٩٣/١). وكانت لأسرة ابن فضل الله مكانة كبيرة في العصر المملوكي اذ تناوب العديد من افراد الاسرة على تقلد وظائف مهمة لدى سلاطين المماليك في مصر والشام .

كان ابرز افراد الاسرة يحيى بن فضل الله بن مجلي والد العلامة احمد بن يحيى، فقد ولد في الكرك في سنة ٦٤٥ه اخذ العلم عن مكي بن علان وغيره من العلماء، وحدث بشيء كثير من العلوم وامتاز بحسن الخط، مما سهل له الامر في العمل بديوان الانشاء في سنة ٥٦٦١ه، تحت اشراف أخيه شرف الدين عبد الوهاب، حتى اتقن الصنعة فانتقل الى حمص ومكث فيها مدة، ثم عاد الى دمشق وانتقل بعدها الى القاهرة، وبقي يتقلد ويعزل في دمشق والقاهرة حتى توفي سنة ٧٣٨ه (ابن،حجر،١٩٧٢، ١٩٣/٦).

وصفه ابن حجر قائلا :"وَكَانَ سعيد الحركات وَرَأى من السَّعَادَة فِي أَوْلَاده وأملاكه ووظائفه وَطول عمره مَا لم يُشَارِكهُ فِيهِ أحد وَكَانَ قَلِيل الْأَذَى كثير الانجماع عَن النَّاس وَكَانَ صَدرا مُعظما وقوراً كَامِل الْعقل حسن الصيانة تَارِكًا لمعاشرة النَّاس خَبِيرا بوظيفته بديع الْكِتَابَة جزل الْعبارَة كثير الْأَنْوَار خرج لَهُ أَبُو الْحُسَيْن بن ايبك معجماً سمعناه من شَيخنَا برهَان الدّين التنوخي بِسَمَاعِهِ مِنْهُ وَكَانَ لَا يكَاد يتَكَلَّم إِلَّا جَوَابا وَله نظر جيد وَكَانَت وَفَاته فِي ثامن شهر رَمَضَان سنة ٧٣٨ وَدفن بالقرافة ثمَّ نقل تابوته إِلَى دمشق وَدفن بالصالحية بعد مَوته بأشهر" (ابن حجر، ١٩٧٢، ١٩٤/٦)

ومن اعلام الاسرة اخوه القاضي علاء الدين علي بن يحيى بن فضل الله، كان قد عمل لدى السلطان الناصر في مكان أخيه شهاب الدين، فكان يدخل على السلطان يقرأ البريد وينفذ الاشغال على قاعدة أخيه، وبقي على ذلك وحين توفي والده، باشر اعماله الى وفاة الناصر قلاوون

(ت ٧٤١هـ ١٣٤١م) واستمر بوظائفه في عهدي الملك المنصور (وتقلد السلطة لمدة شهرين في عام ١٣٤١م وتوفي فيها) وفي عهد الملك الاشرف علاء الدين كجك (تقلد السلطة في عام ١٣٤١م وتوفي في ١٣٤٥م)، زادت مكانته واغدقت الأموال عليه حتى قيل عنه افضل من كتب خط الثلث (الصفدي، ٢٠٠٠، ١٩٩/٢٢).

والأخ الثاني القاضي بدر الدين محمد بن يحيى، صاحب ديوان الانشاء بالشام صحب أخيه علاء الدين الى مصر، شغل ديوان الانشاء في مصر عوض أخيه وبعدها، نقل الى الشام في عهد السلطان الناصر إسماعيل، وكان له ديوان الانشاء وباشر في سنة ٧٤٣ه، قال عنه الصفدي: كان عاقلا وادعا كثير الاطراق والصمت، وأحبه الناس وخضع له الامراء والاكابر توفي سنة ٧٤٦ه، خرج في جنازته نائب الشام والامراء والقضاة والعلماء، ودفن بتربة والده بجبل الصالحية (الصفدي، ٢٠٠٠، ١٣٨/٥).

اما ما يخص صاحب مسالك الابصار، فقد اختلفت المصادر في سنة ولادته، الا ان الأرجح انها كانت في شوال سنة سبعمائة للهجرة، أخذ العلوم على عادة أبناء العلماء وكبار رجال الدولة، فقرأ العربية على الشيخ كمال الدين بن قاضي شهبة، ومن ثم على شمس الدين بن مسلم والفقه على القاضي شهاب الدين ابن المجد، واخذ عن شيخ الإسلام ابن تيمية الفقه وعلى ابن الزملكاني، وسمع الحديث بدمشق من ابن الحجار وست الوزراء، وابن ابي الفتح ورحل الى الحجاز ومصر ولإسكندرية واجاز له جماعة (الصفدي، ٢٠٠٠، ١٦٤/٨).

وقد أشاد ابن حجر به قائلا: وكان يتوقد ذكاء مع حافظة قوية وصورة جميلة واقتدار على النظم والنثر حتى كان يكتب من راس القلم ما يعجز عنه غيره مع سعة الصدر وحسن الخلق وبشر المحيا (ابن حجر، ١٩٧٢، ٣٩٣/١)، وقال ابن قاضي شهبة أن: له تصانيف كثيرة أدبية وباع طويل وبراعة في الادب وكان يشبه بالقاضي الفاضل في زمانه وله مصنفات عديدة بعبارة جيدة وكان حسن المذاكرة سريع الاستحضار جيد الحفظ فصيح اللسان جميل الاخلاق يحب العلماء والفقراء (ابن قاضي شهبة، ١٤٠٧ه، ١٨/٣).

ووصفه الصفدي قائلا" "صدق اخلاق وسعة صدر وبشر محيا رزقه الله أربعة أشياء لم ارها اجتمعت في غيره وهي الحافظة قلما طالع شيئا الا وكان مستحضرا لأكثره والذاكرة التي اذا أراد ذكرى شيء من زمن متقدم كان ذلك حاضرا كأنه انما مر به بالأمس والذكاء الذي تسلط له على ما اراج وحسن القريحة في النظم والنثر ...(الصفدي، ٢٠٠٠، ١٦٣/٨)، وذكر له صفات أخرى واضاف الله له الى ذلك كله حسن الذوق الذي هو العمدة في كل فن وهو احد الاداباء الكملة الذين رايتهم واعني بالكملة الذين يقومون بالأدب علما وعملا في النظم والنثر ومعرفة بتراجم اهل عصرهم ومن تقدمهم على اختلاف طبقات الناس وبخطوط الافاضل واشياخ

الكتابة ..ولم ار من يعرف تواريخ ملوك المغل من لدن جنكيز خان وهلم جرا ومعرفته وكذلك ملوك الهند والأتراك وما معرفة الممالك والمسالك وخطوط الأقاليم ومواقع البلدان وخواصها فانه فيها امام وقته".

وقد تقلد وظائف عدة من أهمها كاتب ديوان الانشاء بمصر ودمشق، ولما ولي ابوه كتابة السر كان هو يقرا كتب البريد على السلطان، الا انه اغضب السلطان حين اعترض على تولية ابن القطب القبطي على كتابة السر في دمشق سنة ٧٤٠ه، وكتب له كتاب التوقيع بالوظيفة وطلب منه السلطان ان يكتب فيه زيادة معلومة، فامتنع بن فضل الله العمري، وقال: خدمتك علي حرام فاشتد غضب السلطان عليه حتى سأل والده السلطان العفو وقدم العذر والاعتراف بخطأ ابنه، فأمر السلطان ان يلزم بن فضل الله العمري بيته وبعد وفاة ابيه، رجع مرة أخرى الى خدمة السلطان فأرسل الى دمشق يباشر عمله في ديوان الانشاء، بعد ان استحلفه الناصر على المناصحة وبقي على رأس عملة ثلاث سنوات، حتى عزل بأخيه بدر الدين وبقي بطالا في دمشق، الى وفاته في يوم عرفة من سنة ٧٤٩ه (ابن حجر، ١٩٧٢، ١/٣٩٣-٣٩٥).

ولابن فضل الله العمري العديد من المؤلفات منه مسالك الابصار، وفواصل السمر في فضائل عمر في أربعة مجلدات والتعريف بالمصطلح الشريف، وله ديوان في المدائح النبوية (ابن قاضي شهبة، ١٤٠٧ه، ٣/١٧).

اما كتاب مسالك الابصار الذي يعد موسوعة علمية وتاريخية ذات أهمية كبيرة، لا تقل أهمية عن المؤلفات الموسوعية التي ظهرت في العصر المملوكي، ورغم المدح والثناء الذي طال بن فضل لله العمري، كان الجزء الأكبر من ذلك بسبب مكانته العلمية، وقربه من السلاطين وعمله في الوظائف السلطانية، الا ان سفره الخالد مسالك الابصار، غدا هو العمل الذي خلد مؤرخنا الكبير، وعد ذلك السفر الكتاب الأبرز الذي عول عليه من جاء بعده بسبب المعلومات القيمة والنادرة، التي سطرها فيه وقد ارجع بن فضل الله العمري سبب تأليف الكتاب الى أسباب موضوعية، أشار اليها في مقدمة الكتاب منها ان النفوس لا يصلحها الا التنقل من حال الى حال، والتوقل على شرفات الشد والارتحال للاطلاع على الغرائب والاستطلاع للعجائب (٢٠١٠، ١/١٠٧).

وأشار الى افتقار زمانه الى معلومات جديدة عن الأقاليم فقال: "ولقد طالعت الكتب الموضوعة في أحوال الأقاليم وما فيها، فلم اجد من بين احوالها، ومثل في الافهام صورها، لان غالب تلك الكتب لا تتضمن سوى الاخبار القديمة واحوال الملوك السالفة، والأمم البائدة، وبعض مصطلحات ذهبت بذهاب أهلها، ولم يبق في مجرد ذكرها عظيم فائدة، ولا كبير امر وخير القول اصدقه، والناس بزمانهم اشبه منهم بابائهم" (العمري، ٢٠١٠، ١/١٠٨).

وأشار الى انه سوف يقدم معلومات واخبارا، تتميز بأنها الأشهر والاظهر عن كل بلد وحال كل مملكة وما عليها، هي وأهلها في وقته من اجل تقريبها لأفهام من يكتب لهم عن مصطلحات ومعاملات كل بلد (العمري، ٢٠١٠، ١٠٩/١)، من اجل إعطاء صورة متكاملة عن كل بلد حتى تكون تلك الصورة أمام أعينهم بالمشاهدة والعيان، واشترط ان يدون ما تحقق له مما عرفه هو بشخصه، وما شاهده واذا لم يره نقل ممن يعرف أحوال تلك البلاد ممن شاهد بعينه او سمعه من الثقات، الذي التقى بهم، وهم اعيان الثقات من ذوي التدقيق في النظر والتحقيق للرواية واستكثر منهم عن السؤال عن مملكة، حتى يأمن تغفل الغفلاء وتخيل الجهالات الضالة، وتحرف الافهام الفاسدة (العمري، ٢٠١٠، ١٠٩/١). وأشار الى مصدرا خر من مصادره وهي الكتب والمصنفات الموثوقة، التي دونت في اخبار البلدان فنقل منها تقسيم الأقاليم وبعض اخبار الملل والدول ومشاهير الاعلام، وهذا من اجل اكمال كتابه وان هذه المعلومات كانت حسب ما وصف كالطراز في الثوب والخال في الخد.

والزم نفسه بذكر ما اشتملت عليه مملكة كل سلطان، جملة وتفصيلا على ما في المدينة التي هي قاعدة الملك، والغالب في تلك المملكة من أوضاعها وقال: "ولا اعني ذوي الممالك الصغار اذ كانوا في سلطان قاهر عليهم، بل الذكر لكل سلطان يستحق اسم السلطنة، لاتساع ممالك وأعمال، وكثرة جنود واموال ويتغطى بذيله من لعله يكون في مملكته، من ذوي الممالك الصغار كصاحب حماه مع صاحب مصر، وأشار الى ان لم يأل جهدا في تصحيح ما كتبته بحسب الطاقة، من غير استيعاب ولا تطويل ولم اذكر ملوك الكفار ولم يذكر غير الممالك العظيمة من ممالك الإسلام، ويعود ويؤكد انه لم يذكر أي خبر منقول الا بعد التدقيق والتفحص، ولا خبر غريبا او عجيبا الا وذكر ناقله، حتى تكون العهدة على الناقل حوفا من الانكار، كون كثيرا من الحقائق قد يقع انكارها لنقصان العقول على قاعدته التي، تقول: الذي يعرف الجائز والمستحيل، يعلم كل مقدور بالإضافة الى قدرة الله الذي له بدائع الصنعة" (العمري، ٢٠١٠، ١٠٩/١-١١٠).

ومع كل ذلك يعد كتابه موسوعة علمية، لا تحتوي على الاحداث التاريخية فقط، بل يقدم استعراضا حضريا فهو يذكر الجوانب الحضارية عند الشعوب في مختلف الامصار، ونطالع في حديثه عن الممالك ذكر لأوضاع الملوك والوظائف وارباب الرتب العالية ومالهم من ارزاق، وزي الناس ولباسهم، وطعامهم، والميزان والمكيال والعملة، واستعراض الجيوش وتسليحها وعددها وعدتها، ومخصصات أهلها، ومقدار كل منها، وما تنتجه اراضي الممالك من بقلها وفومها واشجارها وأنواع المعادن وقيمتها، وقد قسم كتابه الى قسمين، الأول: في الأرض، والثاني: في سكان الأرض، وقد جاء ذكر الكرد في الفصل الأول من الباب الرابع من المجلد المطبوع من مسالك

الابصار، وكما تقدم فقد تحققت الشروط التي جعلت العمري يذكر الكرد وهي الإسلام والسلطان القاهر المستقل عن غيرهم.

المبحث الثاني:

كما ذكرنا كان كتاب العمري موسوعة علمية تناولت الانسان والأرض، لقيت شعوب البلاد الإسلامية اهتماما كبيرا في بلاد المشرق، ولما كان الاكراد عنصرا مهما من تركيبة سكان المشرق الإسلامي في عصر بن فضل الله العمري، فقد افرد لهم فصلا كاملا تحدث عنهم وعن مناطق سكناهم وابرز قبائلهم وامرائهم، وما تميزت به بلادهم وما حوت من ثروات وعلاقتهم مع جيرانهم ودورهم في احداث عصرهم آنذاك، وعلى الرغم مما كتب عن الاكراد في كتب الجغرافيين العرب بقيت قليلة، وذقل احدهم عن الاخر، وما يميز بن فضل الله وجود نصوص جديدة، ذات قيمة علمية غلب عليها السجع كونه عمل في ديوان الانشاء .

حدد العمري جنس الاكراد، فقال: هم جنس خاص من نوع عام، وهم بالقرب من العراق وبلاد العرب، دون توغل في بلاد العجم، ويسكنون بلاد الجبال وهي الجبال الحاجزة بين ديار العرب وديار العجم، وابتداءها جبال همدان وشهرزور وانتهاؤها صياصي الكفرة بلاد التكفور وهي مملكة سيس (أي مملكة ارمينا الصغرى قرب اضنه الحالية)، وأشار الى انه لن يذكر من عشائرهم الا من كان بهم خبيرا، ولم يسم منهم الا البيوت المشهورة من بيوت ملك او امارة (٢٠١٠، ١٩٧/٣).

ويشير العمري الى ان اغلب الاكراد الذين لهم مأثر ودور هم في شرق ذهر دجلة، اما الذين غرب ذهر دجلة الى الفرات فهم قليل وغير محتفل بهم الا ما كان من اكراد ماردين والجزيرة، كان ابرزهم إبراهيم بن علي المسمى العزيز مالو، الذي كان له شوكة قوية اجتمعت عليه جموع كثيرة، وبعد وفاته لم يكن من خلفه يسد مكانه (العمري، ٢٠١٠، ١٩٧/٣).

إنَّ ابرز الامارات والقبائل الكردية التي ذكرها العمري هي التي كانت الى الشرق من ذهر دجلة وفيما يلي ذكر ابرزها:

أولا - الكورانية في همدان وشهرزور وقال عنهم انهم اهل شوكة وحمية ويقومون في مكان يقال له (ريا موست) ومكان اخر يقال له (رشك) واميرهم الأمير محمد وعددهم يفوق الخمسة الاف مقاتل

ثانيا- الكلالية وديارهم (درانك) ونهاوند الى شهرزور واميرهم سيف الدين صبور، وعددهم الف مقاتل واميرهم يحكم من جاورهم من الاكراد ويطيعه أبناء قبيلته بسبب صدق كلامه وحسن سيرته، ومن الكلالية قوم اخرون يقومون في (دقوق) وعددهم الف مقاتل ومنهم من يستقر في (باشنة) بنواحي أذربيجان وكانوا اكثر الكلالية عددا، ويشير الى ان العديد منهم هاجر الى مصر والشام بسبب تعدي الكفار عليهم وان بقي منهم جماعة في بلادهم. (العمري، ٢٠١٠، ١٩٨/٣).

ثالثا- النركلية وهم أصحاب شجاعة وحيلة ويقارب عددهم الفان واميرهم جمال الدين بالان وهو حاكم بلاد كنكور [1] وما جاورها.

رابعا- واشار العمري الى قبيلة البابيرية واللوسة وهم سكان إقليم شهرزور وكانوا اهل قوة وسطوة ومكانة الا انهم غادرو بلادهم بفعل غزوات المغول والتتر بعد احتلال بغداد واخلوا ديارهم واستقروا كغيرهم من اهل السواد في مصر وبلاد الشام ويقول العمري معبرا عن حزنه لما اصابهم "وتفرقت منهم الأحزاب واصابتهم الاوصاب وعظم فيهم المصاب ولكل اجل كتاب" وسكن مساكنهم قوم يقال لهم(الخرسكية). (العمري، ٢٠١٠، ١٩٨/٣).

خامسا- اكراد (السيولية) وهم بين شهرزور اشنة[2] ويبلغ عددهم الفي رجل وهم ذوو شجاعة وحمية، وهم قسمان امير القسم الأول(مورك ابن عزالدين محمود)، وقسم بأمرة الأمير (داود بدران).

سادسا- الغرباوية ويسكنون بلاد (بستار) ويسيطرون على أجزاء واسعة من بلاد اربل وعددهم يفوق الأربعة الاف نفر، واميرهم (أبو بكر الملقب بسيف الدين).

سابعا- الحسنانية وصفهم العمري قائلا (ذوو انفس قوية وينقسمون على ثلاث بطون وهم نحو الالف، اكبر بطونهم طائفة عيسى بن شهاب الدين كراي، والثاني نفر يقال لهم البلدية والأخر يعرف بالجاكية وكان الأمير عبد الله بن شهاب الدين زنكي امير النفرين وثالث بطونهم لفخر الدين امير قيم وتختص الحسنانية ببلاد (الكركار) وتشاركهم الغرباوية في الخفارة المأخوذة بدربند). (٢٠١٠، ١٩٩/٣).

وهنا نجد العمري يذكر عن اكراد منطقة الجبلين من اعمال أربيل ان القوم كانوا يقدمون الولاء للدولتين المغولية والمملوكية ويدارون القوتين فهم في الشتاء يعاملون التتر بالمجاملة، وفي الصيف يعينون سرايا الشام ويقول ان عددهم كعدد الكلالية واميرهم (تاج الدين الخضر سليمان) وكان ذا بنان وقد وفد الى بلاد مصر في عهد المنصور قلاوون وقد عاد أولاده الى بلادهم بعد وفاة ابيهم مع امراء اخرين من امراء الاكراد منهم عز الدين سنقر والمبارز بن شجاع الدين من المازنجانية، وبهاء الدين بن جمال الدين خوش من الحميدية بسبب اهمال امرهم بعد وفاة قلاوون (٢٠١٠، ١٩٩/٣).

ثامنا- المازنجانية ويقيم هولاء في اربل وينسبون الى الحميدية واميرهم منهم وهم اهل عزم في الشدة والرخاء ولا يقل عددهم عن الف مقاتل ويذكر انهم من اكثر الكرد تشبها بأعيان الممالك الإسلامية من حيث اللباس اذا كان اميرهم من امراء الخلافة العباسية، لقب بمبارز الدين وهو لقب رسمي اطلق عليه من ديوان الخلافة ونقل العمري عن شاهد عيان في وصف مبارز الدين : " كان ذا شجاعة وصبر وتحمل ومكر وعقل وفكر وتدبر وسياسة وتثبت وريا سة ولا يهمل عدوا

لصغره وحقارته، ولا يهاب من أراد به سوءا لعظمته وجسارته ونقل العمري عن شاهد العيان قول ابن الصلايا[٣]: "توسمت في هذا الشاب سعادة لم اتوسمها في احد فكان كما توسمه، اذا قام في التتر في ذلك المقام وتمكن ابن يافث وتشتت اهل الإسلام ولم يبق من الرجال القادرين على القتال الا سكان الجبال، فما اعجز الكفار استئصالهم وتحققوا ان سهامهم لا تنالهم عاملوهم بالمكر والخديعة، وهادنوهم على تخلية الخراج سدا للذريعة." (العمري، ٢٠١٠، ٣/٢٠٠).

ويضيف العمري انه قد عين ملك على أربيل واعما لها لشدة مقاومته واضيفت الى مملكته عقر سوس وغيرها من البلاد وجعل مقدم خمسمائة ونال قومه سعادة وكثر امراء عشيرته كونهم في النسب سواء وكان على قوته وسطوته حتى بلغ التسعين من العمر وصادف حسن الاقدار في تمكنه من كل عدو قصده ولا هم ملك من ملوك المغول في الغدر به الا عجل الله فناء ذاك الملك ولم يبلغ أحدا ما بلغه ملكه وكثرة رجاله ولا تمنع جباله، وبعد وفاته خلفه بعض أبنائه منهم عز الدين ومن بعده اخوه نجم الدين خضر، ويفصل العمري في الحياة الرغيدة التي كان عليها من الرفاهية وما ترك له ابوه من حاشية وغاشية وعقار وماشية، وكان له مكانه في الدولتين (المغولية والمملوكية) ورتبة عالية في الجهتين، وانبساط في للذات، وشرف بالعرض وذات يد لا تقصر في ادب، ولا تبالي بلاغتها بما تنفق من كنوز الفضة والذهب. (٢٠١٠، ٣/٢٠١).

تاسعا- السهرية في بلاد(شقلاباد) ولهم قلعتي خفتيان[٤] وما بينها الى الدست(والدربند) ويصفهم العمري انهم مشهورين باللصوصية ولا يبلغ عددهم الف رجل وبلادهم عصية واشهر معالم بلادهم نهر الزاب الذي يشق جبليين شاهقين مما يولد هدير الماء صوتا يفزع،وعقد على الزاب ثلاث قناطر اثنتان بالحجر والجير والثالثة من الخشب ويفصل العمري بدقة صنعة تلك القناطر العجيبة التي تمر عليها الدواب والاحمال وللسهرية الخفارة ويفرضون الضرائب على من يعبرها ويقول (وهم اهل غدر وخديعة، وقبائح شنيعة، لا يستطيع المسافر مدافعتهم فيه بل ترضية سلامته بنفسه وينقل عن احد الأشخاص وهو (شمس الدين محمد بن ساعد)، ان نسب احد من الاكراد الى الجن فهم هؤلاء حقا، واميرهم (الحسام بن عمقيان). (٢٠١٠، ٣/٢٠٢).

عاشرا- الزرزارية وتعني ولد الذئب، يقول العمري :ولهم عددا جم وامراء واغنياء وفقراء ويبلغ عدد رجالهم خمسة الاف وتميزو بوجود التوافق بينهم، ومنهم من عرف بالزهد ممن يشار اليهم، وفقهاء يعتمد عليهم بالفتوى ويسكنون من مرت[٥] الى جبل خنجرين المشرف على (اسنة) وامتاز جبلهم بكونه شديد الارتفاع باردا جدا ويجذب الغيوم كالمغناطيس، ولهم الخفارة في تلك النواحي، ولهم كذلك بلاد ملاز كرد والرستاق ذات القلاع والضياع واميرهم (نجم الدين بن باساك) خلفه أبنائه في امرة تلك النواحي ولهم الطاعة على عشيرتهم وامتازوا بحسن سيرتهم. (٢٠١٠، ٣/٢٠٣).

احد عشر- الجولمركية: يقول العمري انهم من بني امية من مروان بن الحكم ونسبتهم الى مكان اقامتهم

وكان اغلبهم قد فر الى الجبال بعد غلبة بني العباس عليهم وامتنعوا واستغنوا بهذه الجبال وابتعدوا عن مخالطة الناس طلبا للسلامة فانخرطوا في سلك الاكراد واميرهم (عماد الدين بن الأسد بن مشكلان)، وعددهم ثلاثة الاف، وكانوا أصحاب ثروة معدنية اذ ظهر في بلادهم معدن اللازورد فأخفى ذلك خوفا من المغول رغم مناعة بلاده التي تعد من امنع البلاد،ومن ملوكهم الاخرون بهاء الدين بن قطب الدين وله ابن عم له يقال له شمس الدين داود، كان معاديا ومحاربا للمغول، فلما اعجزهم منحوه ارض عطايا وهبات من اجل الدخول في طاعتهم، والنزول من معقله، فخصص له دارا عظيمة، حولها بستانا احتوى مختلف الأشجار المثمرة قدّر العمري غلته ما يفوق عشرون الف دينار بالسنة، وبعد وفاته عاد ابنه الى عداوة المغول وحاربهم ورجع الى معقل عشيرته الحصين، فاخذ خراج بلاده، يقطع منه ما شاء لجنوده، ويأخذ الخفارة على جميع طرق أذربيجان من تبريز الى نخجوان[٦] وعرف ملكهم بحسن التدبير والإدارة وكان عنده من الكتاب والمشدين والنواب والوكلاء وعرف بالكرم اذ يقدم طعامه بلا ملح حتى يتمكن من الاكل منه من كان في صلحه او في عداوته (٢٠١٠، ٢٠٤/٣).

اثناعشر- الزيبارية قال العمري ان عددهم خمسمائة رجل ويقطنون الزيبار وللزيبارية سوق خاص لهم في بلدهم، وكانوا في حالة حرب مع قبيلة المازنجانية، واستقر امرهم وكان لهم اميران الأول إبراهيم بن الأمير محمد الزامي وكان له مكانة مرموقة في عهد الخلافة العباسية، والأمير الثاني الشهاب بدر الدين برش، واما الهكارية فقال انهم مقيمون ببلاد العمادية وعددهم يزيد على أربعة الاف محارب وكان لهم اميران احدهما الأمير ابي بكر والأخر الأمير علي يعرف والداهما بالطراوشي وكان الأمير الأول مستقلا يحكم بقوة واستقلال وحسن تدبير متخذا من مناعة الجبال حصنا منيعا، وله الجم الغفير من الاتباع والنواب والجنود، وبقي مستقلا عن القوى المحيطة والمعاصرة له حتى دبر له احد حكام الموصل النصراني البرقوطي مكيدة وحيلة اشترك بها بعض افراد قبيلته الذين حسنوا له النزول والوثوق بحاكم الموصل أدت بالأخير الى سجنه والاحتياط عليه حتى حاول الفرار فقتل اثناء تلك المحاولة، واستقل الأمير في حكم الهكارية حتى مات، وللهكارية الخفارة على أماكن كثيرة من بخارى الى جبل الجزيرة مما تدل على قوة الامارة واتساع نفوذها. (٢٠١٠، ٢٠٥/٣-٢٠٦).

ثلاث عشرة- البستكية وهم يقطنون القمراذية وكهف داود، ورغم قلة عددهم الذي يقارب خمسمائة رجل، الا انهم كما يقول العمري رجال شجعان حماة رماة كرماء، طعامه مبذول لكل قادم، واميرهم مقيم بالقمرانية (٢٠١٠، ٢٠٦/٣).

اربع عشرة- البختية ويقطنون من قبل، يقول العمري انهم كانوا يضاهون الحميدية في المكانة الا انهم اكثر من حيث العدد والامراء وكثرة القبائل قد اصابهم في عصره مصائب أدت الى هلاك امراءهم وتشتت كبرائهم وتفرق جمعهم المعهود،ولم يبقى منهم الا القليل منهم وقد تفرقوا بين القبائل، ومن ابرز قبائلهم "لسندية وهو أكثر شعبهم عددا، وأوفرهم مددا، يبلغون ثلاثين ألف مقاتل مختال مخاتل والمحمدية، وكان أميرهم شروين، لا تزيد على ستمائة رجل، والراستية كانوا أولى عدد وعدد وجمع ومدد إلى أن نزح أميرهم البدر بن كيايك من ذلك البلد، بالأهل والولد، إلى متعة وقد تشتت شملهم، وتفرق جمعهم، عدتهم لا تزيد في بلد الموصل، لا تزيد على ألف رجل، وأميرهم علاء الدين كورك بن إبراهيم، ولا ينقص من بلد العقر في خمسمائة وأميرهم عمر بن أبي علي وموسى بن بهاء الدين، والدينلية وهم يسكنون الجبل المقلوب، والمختار مطلوبون بالخفارة أميرهم كلتي، ولا تزيد عدتم على ألف متفرقين في البلاد، متمزقين في كل واد" (٢٠١٠، ٢٠٦/٣-٢٠٧).

الخاتمة:

من خلال ما قدمه العمري من معلومات حول الامارات والقبائل الكردية، يمكن للباحث ان يؤشر العديد من الملاحظات من أهمها:

١. وقوعها بين قوى متصارعة أدت الى ضعف تلك الامارات ومحاولة توازن المواقف في علاقتها مع هذه القوى (المغول والمماليك)، وان كانت تميل في الاغلب الى مؤازرة المماليك.

٢. الامر الاخر كثرة المنافسات و الصراعات الداخلية ووجود اكثر من امير واحد لنفس القبيلة او العشيرة.

٣. عدم توحد تلك الامارات والقبائل في اتحادات إدارية، وتفشي الحروب المستعرة فيما بينها.

٤. كانت قوة تلك الامارات والقبائل والعشائر تكمن بوجود الموانع الطبيعية كالجبال والديان والانهار التي اغرت العديد من تلك الامارات في عدم الرضوخ لغيرها مما زاد في الفرقة.

٥. توفر الامطار والثلوج مما أدى الى غنى تلك الامارات من الناحية الاقتصادية وتوفر المزروعات ولأشجار المثمرة والثروة الحيوانية.

٦. كذلك توفر المعادن الثمينة جعلت تلك البلاد مطمعا للمغول فكانوا يحيكون المؤامرات من اجل السيطرة على هذه البلاد.

المصادر:

البغدادي (١٤١٢هـ)، عبد المؤمن بن عبد الحق، مراصد الاطلاع، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت.

١. الحموي(١٩٩٥م)، ياقوت بن عبد الله الرومي، دار صادر، بيروت.

٢. ابن حجر العسقلاني (١٩٧٢م)، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط٢ - صيدر آباد/ الهند.

٣. الذهبي، (٢٠٠٣م)، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز، تحقيق: بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي.

٤. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (٢٠٠٠م)، الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت.

٥. العمري، أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري، شهاب الدين ابن فضل الله (٢٠١٠م)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق كامل حسين الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت.

٦. ابن قاضى شهبة، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر (١٤٠٧هـ)، طبقات الشافعية، تحقيق: الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب، بيروت.

الهوامش:

---

(١) بليدة بين همذان وقرميسين (الحموي، ١٩٩٥، ٤/ ٣٦٣).

(٢) بلدة من طرف أذربيجان من جهة اربل (البغدادي، ١٤١٢هـ،١/ ٨٥)

(٣) محمد بن نصر بن يحيى بن صلايا نائب الخليفة على أربل (الذهبي، ٢٠٠٣م، ١٤/٨٤٦).

(٤) قلعتان عظيمتان، من أعمال إربل (البغدادي، ١٤١٢هـ، ١/٤٧٥).

(٥) هي قرية بينها وبين أرمية منزل واحد في طريق تبريز (الحموي، ١٩٩٥م، ٥/١٠٠).

(٦) بلد بأقصى أذربيجان (الحموي، ١٩٩٥م، ٥/٢٧٦).

The Kurdish emirates in the book of Masaliq al-Absaar by Ibn Fadlallah Al-Omari

Abstract:

Ibn Fadlallah Al-Omari is considered one of the most important historians of the Mamluk era. He wrote a historical scientific encyclopedia that dealt with many aspects of the history of the Islamic East. He devoted an entire topic to the country of the Kurds, so he identified the areas of their spread, their residence, their most important tribes, and the most prominent Kurdish emirates in his era that he lived with, heard about, or looked at their conditions and between their strength and resources.

And its relationship with contemporary regional powers such as the Mamluks and Mongols.

Keywords: Al-Omari*, the book of Masaliq al-Absaar , Emirates and Tribes, the Kurds*

میرگەهێن کوردی د پەرتووکا (مسالک الابصار) یا ئیبن فەچلوللاهیّ عومەریدا ٧٤٩مش/١٣٤٩ز

پۆختە:

أبن فەزل الله العمری دئێتە هەژمارتن ئێک ژ گرنگترین میژوونڤیسێن چەرخێ مەملووکی, ئنسکلوپیدیایەك میژووی زانستی نڤیسیە وتێدا میژووا روژهەلاتا ئیسلامی باس کریە, وبابەتەکێ دروست تەرخان کریە ژبوو وەلاتێ کوردان, وجهێ وان دەستنیشان کریە,وجهێ ئاکنجیبوونا وان وگرنگترین هوزێن وان, هەروەسا گرنگترین میرگەهێن وان ل وی سەردەمی, وهێزا وان دیارکریە دگەل ژێدەرێن وان ییّن ئابووری,وپەیوەندیا وان بهێزێن هەریمی, وەك مەمالیک ومەغولان.

پەیڤێن سەرەکی : *عومەری، پەرتوکا مسالک الابصار، میرگەه وهوز، کورد، چەرخێ مەملوکی.*